الدراسات اللهجية والصوتية
عند ابن جني

الدكتور
حسام سعيد النعيمي

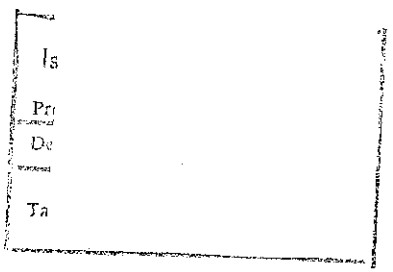

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الاولى والآخرة، واصلي واسلم على صفوة الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته الى يوم الدين.

وبعد، فالبحث الذي بين يدي القارىء هو: (الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني) أردت من دراسته أن أتعرف جهود العلماء في اللهجات والدراسات الصوتية في ضوء ما توصل إليه علم اللغة الحديث، وذلك من خلال ما كتبه عالم من علماء القرن الرابع الهجري هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ.

وحين انتهيت من جمع مادة البحث وجدتها تملي علي أن اقسمها على ثلاثة أبواب.

الباب الأول: درست فيه باقتضاب العالم الذي نظرت إلى جهد العلماء العرب من خلال ما كتب فعرّفت بحياته وثقافته وآثاره وأثره في الكتب بعده بصورة موجزة فكان ذلك الفصل الأول. وانتقلت من ذلك الى الفصل الثاني للكلام على اصول دراسته من سماع من الشيوخ واخذ من الكتب ومشافهة الاعراب، وموقفه من الشواهد وعنايته بالقياس. وكان الفصل الثالث في الكلام على جهود العلماء العرب في اللهجات والأصوات قبل ابن جني تناولت فيه نماذج من الدراسات اللهجية والصوتية التي تقدمته وكان لها أثر في دراسته كالمعجمات، وكتب اللغة، والنوادر، والنحو والصرف، والقراءات القرآنية، ودواوين القبائل. وجمعت الفصول الثلاثة تحت عنوان واحد يضمه الباب الأول هو: ابن جني واصول دراسته وجهود سابقيه.

أما **الباب الثاني** وعنوانه: دراساته اللهجية، فقد عقدته لدراسة اللهجات العربية التي وجدتها عنده وكان خمسة فصول:

جعلت الفصل الأول منه تحت عنوان اختلاف اللهجات، عرّفت فيه باللهجات العربية واختلافها بصورة عامة والأسباب التي جعلتها تختلف، وإلى أيّ مدى كان الخلاف بينها، وهل تصلح على اختلافها لأن يحتج بها جميعا في اللغة ويقاس عليها في عصرنا الحاضر، وما أنواع الاختلاف في اللهجات، ومتى يطلق العلماء على اللفظ كلمة لهجة ومتى لا تكون لهجة عندهم.

والفصل الثاني عقدته لاختلاف اللهجات في الصوامت، وقد وجدت اللهجات العربية تختلف في الصوامت بأشكال متعددة، فقد يكون الاختلاف في ابدال صامت بآخر، أو في الادغام وفكه، أو في الحذف والذكر، أو في الزيادة والنقصان، او في القلب والترتيب. فبحثت كل شكل من هذه الأشكال بصورة مفردة اجتهدت ان افصل القول فيه بذكر آراء القدامى والمحدثين في كل ما اورده ابن جني بقدر ما توفر لي من آرائهم في ذلك.

وجعلت الفصل الثالث لاختلافهم في الصوائت وعالجته بالطريقة التي عالجت بها الفصل الذي تقدمه. وقد تناولت اولا الكلام على اختلافهم في الصوائت الطويلة في الاعلال والامالة والاختلاس، وفصلت القول في كل موضوع على حدة، ثم تناولت اختلافهم في الصوائت القصيرة بين الفتح والضم، والحركة والسكون، والامالة وتركها، والاشباع والاختلاس، وفصلت القول أيضاً في كل ذلك.

وفي الفصل الرابع تناولت اختلافهم في المعنى والإعراب، عالجت أولا إختلافهم في المعنى حيث تتفق اللهجتان في لفظ واحد ولكن المعنى لا يكون واحدا بينهما، فقد يختلف وقد يتناقض احيانا. ثم تناولت اختلافهم في الاعراب وذكرت نماذج من هذا الاختلاف وحاولت التعرف على دوافع كل لهجة لهذا الاختيار او ذاك بحسب ما توفر لي من ادلة واطلاع.

وجعلت الفصل الخامس لشذوذ اللهجات والمقايسة بينها، تناولت فيه معنى الشذوذ في اللهجة، وأقسامه، وهل المراد بالقراءة الشاذة في القرآن انها جاءت بلهجة شاذة، ومحاولة ابن جني عقد موازنة بين اللهجات يفضل فيها بعضها على بعض. وبينت رأى علم اللغة الحديث في ذلك جهد المستطاع.

أما **الباب الثالث** فقد كان بعنوان: دراساته الصوتية في ضوء علم اللغة الحديث وهو خمسة فصول أيضا. كان الفصل الأول: النظرية الصوتية في نشأة اللغة وفيه حاولت أن اعرّف بالنظرية الصوتية التي اوردها ابن جني ورأى علم اللغة الحديث ومذاهب العلماء المحدثين في ما عبروا عنه بالرمز.

وفي الفصل الثاني الذي جعلته بعنوان الصوت والمعنى ذكرت مذهب ابن جني في مناسبة الحروف لمعانيها على التقديم والتأخير، والتقاء الأصول، ومعاني بعض الصيغ المرتبطة بأصواتها، وحكاية الأصوات، ومضارعة الأصول، وعرضت ذلك كله في ضوء ما اطلعت عليه من آراء العلماء المحدثين في الأصوات.

أما الفصل الثالث فقد جعلته بعنوان أصوات الحروف ذكرت فيه دراسة علم اللغة الحديث لأعضاء النطق والفرق بينه وبين دراسة ابن جني، ثم تحدثت عن المدرج الصوتي للحروف عنده وعند الخليل وسيبويه، ورأي المحدثين في مخارج الحروف وصفاتها ومواضع الاتفاق والاختلاف بين الدراستين في ذلك.

وجعلت الفصل الرابع تحت عنوان: الحرف والحركة، وذلك انني وجدت ابن جني قد خص العلاقة بين الحركات وحروف المدّ بعناية خاصة وفصّل الكلام عليها في أكثر من موضع من كتبه فذكرت آراءه في هذه العلاقة، وفي الحركات الست في العربية، وموضع الحركة من الحرف أهي قبله أم معه أم بعده، ومطل حروف اللين، وعرضت ذلك كله على رأي علم اللغة الحديث وأثبت وجهة النظر فيه.

وفي الفصل الخامس وهو: التعليل الصوتي، تناولت ما ذكره ابن جني من تفسير صوتي للمظاهر اللغوية العامة التي تعنى بها الدراسات الصوتية، وحصرت الدراسة في الادغام، والإبدال، والإعلال، فبحثت كلا منها مفصلا على حدة.

وبعد أن انتهيت من ذلك كله كتبت خاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث، ثم أوردت المصادر التي أفدت منها وأخيرا وضعت فهرسا مرشداً لما ورد من أبواب وفصول.

وقد افدت في عملي هذا من كتب ابن جني ولا سيما سر صناعة الاعراب، والخصائص والمحتسب، والمنصف. ومن الكتب القديمة افدت أكثر ما افدت من كتاب سيبويه، ومن الحديثة مما كتبه الدكتور ابراهيم أنيس ولا سيما الأصوات اللغوية، وفي اللهجات، وموسيقى الشعر، ومن الدراسة التي كتبها الدكتور أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث، كذلك أفدت من كتاب الدكتور محمود السعران علم اللغة، وكتاب القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين، وغيرها مما اشرت اليه في موضعه. ومن كتب غير العرب أفدت من كتاب جان كانتينو: دروس في علم اصوات العربية، وكذلك ما كتبه ج. فندريس في: اللغة، وما كتبه هنري فليش في: العربية الفصحى، وفي: التفكير الصوتي عند العرب.

وإنني إذ أتقدم بالشكر والامتنان لاستاذي المشرف الاستاذ ابراهيم الوائلي أذكر له ههنا بالوفاء وعرفان الجميل الجهد الذي بذله في توجيه البحث وخطته، والصبر على متابعة ما ورد فيه من أبواب وفصول والتوجيه للصواب، والإرشاد الى مواطن الخلل لتداركها، فله مني شكر العارف بما بُذل، والدعاء أن يجزيه الله عني خير ما يجزي الصالحين.

ولا يفوتني في ختام هذه المقدمة أن أذكر أني قد حاولت جهد المستطاع أن أضع في هذا البحث خلاصة فكري وتجاربي التي اكتسبتها من صحبة كتب اللغة القديمة والحديثة لما يزيد على خمسة عشر عاما منذ بدأت الدراسة العليا في التخصص في حقل اللغة والنحو. وقد عرفت من هذه الصحبة أنه ما من إنسان يكتب كتابا إلا وجد بعد مدة أنه لو زاد فيه أو طرح منه لكان خيرا، ولو قدم هذا وأخر هذا لكان أجمل، وهو صاحب الكتاب فما بالك بغيره من القراء، وهذه طبيعة البشر، إنهم لا يأتون بعمل كامل، فالكمال لله وحده، وحسبي في هذا أنني راض عما بذلته من جهد في هذا العمل، فإن وفقت فيه إلى الصواب وهذا ما أرجوه فمن الله وحده سبحانه، وله الحمد أولا وآخرا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وان تكن الاخرى فمن نفسي ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على إمام البلغاء وسيد الفصحاء محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الاول
ابن جنّي
وَاصُولُ دراسَته وَجهُودُ سَابقيه

الفصل الأول

ابن جنّي- حياته- ثقافته- آثاره

اسمه وصفته:

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، كان أبوه مملوكا لسليمان بن فهد الأزدي وكان روميا[1]، وضبطوا اسمه بكسر الجيم وتشديد النون المكسورة وسكون الياء[2]، قالوا: وهو معرب (كني) بالرومية[3]، ومعناها: كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري، مخلص[3]، وقد نقل عن ابن جني أنه قال عن معنى اسم أبيه انه فاضل بالرومية[3]، ولم يزيدوا على ذكر نسبه هذا شيئا، الاّ أن آدم متز ذكر أن أمه كانت جارية رومية[4]، ولم أهتد إلى الموضع الذي أخذ منه هذا الخبر الذي ذكره من غير إحالة.

وقد ذكروا من صفة خلقة أبيه أنه لم يكن حسن الوجه، ومن خلقة ابي الفتح أنه كان أشقر[5]، وكان ممّتعا باحدى عينيه[6]، وكان إذا تكلم يميل بشفته ويشير بيده[7].

خلقه وهل كان مصانعا؟

ذكر الاستاذ محمد علي النجار في صفة خلق ابن جني أنه (كان رجل جد وامرأ صدق في قوله وفعله... وكان عف اللسان والقلم)[8].

إلا أن هذا الوصف لم يمنع الاستاذ النجار من وصفه بالمصانعة، وتابعه في ذلك الدكتور فاضل السامرائي، فقد ذكر السيوطي أن ابن جني وشيخه الفارسي كانا من

(١) نزهة الالباء ص ٢٢٠
(٢) بغية الوعاة ٢: ١٣٢
(٣) مقدمة الخصائص ص ٨.
(٤) الحضارة الاسلامية ص ٤٣٧
(٥) فهرس ابي بكر بن خير ص ٣١٨
(٦) معجم الادباء ٥: ١٨
(٧) نفسه ٥: ١٦
(٨) مقدمة الخصائص ص ١٤.